وفي الآية الكريمة التّاسعة والعشرين لفظ الجلالة: ﴿الله﴾.

وفي الآية الكريمة الثّلاثين اسما الغفور والشّكور من القول: ﴿إنّه غفورٌ شكور﴾ ونستطيع أن نفهم من صدر الآية الكريمة: ﴿ليوفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾ اسمي العدل الشّكور.

وفي الآية الكريمة الحادية والثّلاثين اسما الخبير والبصير من القول: ﴿إنّ الله بعباده لخبيرٌ بصير﴾ ونستطيع أن نفهم من صدر الآية الكريمة: ﴿والّذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحقّ مصدّقاً لما بين يديه﴾ اسم الحقّ.

وفي الآية الكريمة الثّانية والثّلاثين لفظ الجلالة: ﴿الله﴾.

وفي الآية الكريمة الرّابعة والثّلاثين يجيء لفظ الجلالة: ﴿الله﴾ في القول: ﴿وقالوا الحمد لله﴾ وقد عرفنا أنّ مجيء اسماء الله تعالى الحُسْنى في السّورة الكريمة من أجل تعميق معنى الثّناء كاملاً لله تعالى في أوّل السّورة الكريمة. قال تعالى: ﴿الحمد لله فاطر السّماوات والأرض﴾ كما يجيء في التّذييل ثلاثةٌ من الأسماء الحسنى: ﴿إنّ ربّنا لغفورٌ شكور﴾.

ونستطيع أن نفهم من تذييل الآية الكريمة السّادسة والثّلاثين اسم: الحسيب.

وفي الآية الكريمة السّابعة والثّلاثين يجيء على ألسنة الّذين كفروا القول: ﴿ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الّذى كنّا نعمل﴾.

وفي الآية الكريمة الثّامنة والثّلاثين اسمان من أسماء الله تعالى الحُسْنى. قال تعالى: ﴿إن الله عالم غيب السّماوات والأرض. إنّه عليمٌ بذات الصّدور﴾.

وفي الآية الكريمة التّاسعة والثلاثين يجيء القول: ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربّهم إلاّ مقتا﴾.

وفي الآية الكريمة الأربعين يجيء لفظ الجلالة: ﴿الله﴾ ونستطيع أن نفهم من الآية الكريمة اسمي الخالق والواحد.

وفي الآية الكريمة الحادية والأربعين ثلاثة من الأسماء الحسنى، لفظ الجلالة: ﴿الله﴾ والحليم والغفور. ونستطيع أن نفهم من الآية الكريمة اسم القيّوم. قال تعالى: ﴿إنّ الله يمسك السّماوات والأرض أن تزولا. ولئن زالتا إن أمسكهما

من أحد من بعده. إنّه كان حليماً غفوراً﴾.

وفي الآية الكريمة الثّانية والأربعين جاء لفظ الجلالة: ﴿الله﴾ مرّة واحدة. وفي الآية الكريمة الثّالثة والأربعين جاء لفظ الجلالة: ﴿الله﴾ مرّتين اثنتين. ونستطيع أن نفهم من القول: ﴿فلن تجد لسنّة الله تبديلاً ولن تجد لسنّة الله تحويلاً﴾ اسم المنتقم.

وفي الآية الكريمة الثّالثة والأربعين ثلاثة من الأسماء الحسنى، لفظ الجلالة: ﴿الله﴾ والعليم والقدير. ونستطيع أن نفهم من الآية الكريمة اسمي المنتقم الجبّار. قال تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم وكانوا أشدّ منهم قوّة. وما كان الله ليعجزه من شيءٍ في السّماوات ولا في الأرض. إنّه كان عليماً قديراً﴾.

وفي الآية الكريمة الأخيرة من السّورة الكريمة لفظ الجلالة: ﴿الله﴾ الّذى جاء مرّتين اثنتين، واسم البصير. ونستطيع أن نفهم من الآية الكريمة اسمي الحليم والرّحيم. قال تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله النّاس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابّةٍ ولكن يؤخّرهم إلى أجلٍ مسمّى. فإذا جاء أجلهم فإنّ الله كان بعباده بصيراً﴾.

وحينما تكون عناية سورة فاطر كبيرةً بتبيين معنى ما ابتدأت به: ﴿الحمد لله﴾ وذلك بالحديث المستفيض عن الذّات العليّة عن طريق ذكر أسماء الله تعالى الحُسْنى أو ذكر بعض نعوت الذّات العليّة، وحينما تكون سورة الفاتحة تعميقاً لمعنى ما ابتدأت به: ﴿الحمد لله﴾ يكون ثمّة وجه شبه كبير بين سورتي الفاتحة وفاطر، وتكون سورة فاطر من هذا الجانب أكثر السّور الّتى تبدأ بالقول: ﴿الحمد لله﴾ قُرْباً لسورة الفاتحة من حيث الموضوع الرّئيسيّ أو المحور.

٤ - ارتبط حمد الله في كلٍّ من سور فاطر وسبأ والأنعام بالسّماوات والأرض، إبداعاً على غير مثال سابق في سورة فاطر، وملْكاً في سورة سبأ، وخلقاً في سورة الأنعام. وقد تمّ الجمع بين السّماوات والأرض في سورة الأنعام ثماني مرّات(١) وفي سورة الكهف ثلاث مرّات(٢) وفي سورة سبأ

(١) وأرقام الآيات الكريمات ١، ٣، ١٢، ١٤، ٧٣، ٧٥، ٧٩، ١٠١،

(٢) وأرقام الآيات الكريمات ١٤، ٢٦، ٥١.

أربع مرّات[1] وفي سورة فاطر خمس مرّات[2] إنّ سورة فاطر أقلّ السّور الكريمات الأربع عدد آيات. ومع ذلك تزيد سورة فاطر على سورتي الكهف وسبأ عدد مرّات الجمع في نسق بين السّماوات والأرض. وحينما نقارن بين سورتي الأنعام وفاطر حجماً وعدد آيات وبين المرّات الثّمان الّتى تمّ فيه الجمع بين السّماوات والأرض في سورة الأنعام والمرّات الخمس الّتى تمّ فيها الجمع بين السّماوات والأرض في سورة فاطر نتبيّن أنّ حظّ سورة فاطر هو الموفور.

إنّ الآية الكريمة الأولى من سورة فاطر تشير إلى إبداع الله تعالى السّماوات والأرض على غير مثال سابق. قال تعالى : ﴿الحمد لله فاطر السّماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع. يزيد في الخلق ما يشاء. إنّ الله على كلّ شيءٍ قدير﴾ وإنّ الآية الكريمة الثّامنة والثّلاثين تشير إلى علم الله تعالى غيب السّماوات والأرض. قال تعالى : ﴿إنّ الله عالم غيب السّماوات والأرض. إنّه عليمٌ بذات الصّدور﴾ وإنّ الآية الكريمة الأربعين تشير إلى أنّ الله تعالى وحده لا شريك له هو الّذى خلق السّماوات والأرض. قال تعالى : ﴿قل أرأيتم شركاءكم الّذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شركٌ في السّماوات أم آتيناهم كتاباً فهم على بيّنةٍ منه. بل إن يَعِدُ الظّالمون بعضَهُمْ بعضاً إلاّ غرورا﴾ وأنّ الآية الكريمة الحادية والأربعين تشير إلى أنّ الله تعالى وحده لا شريك له هو يحفظ السّماوات والأرض. قال تعالى : ﴿إنّ الله يمسك السّماوات والأرض أن تزولا. ولئن زالتا إن أمسكهما من أحدٍ من بعده. إنّه كان حليماً غفورا﴾ وإنّ الآية الكريمة الرّابعة والأربعين تشير إلى إحاطة قدرة الله تعالى بكلّ ما في السّماوات والأرض. قال تعالى : ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم وكانوا أشدّ منهم قوّة. وما كان الله ليعجزه من شيءٍ في السّماوات ولا في الأرض. إنّه كان عليماً قديرا﴾.

وثمّة العديد من الأمور المتعلّقة بالسّماوات والأرض معاً أو بإحداهما. إنّا

---

(١) وأرقام الآيات الكريمات ١، ٣، ٢٢، ٢٤.

(٢) وأرقام الآيات الكريمات ١، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٤.

نستطيع أن نفهم من القول في الآية الكريمة الأولى من سورة فاطر : ﴿جاعل الملائكة رسلا﴾ أنّ من أعمال الملائكة تدبير الأمر من السّماء إلى الأرض بأمر ربّها عزّ وجلّ. ونستطيع أن نفهم من القول في الآية الكريمة الثّانية : ﴿ما يفتح الله للنّاس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾ أنّ رحمة الله تعالى واسعةٌ تشمل البرّ كما تشمل الفاجر إلى حين. ونستطيع أن نفهم من القول في الآية الكريمة الثّالثة : ﴿يا أيّها النّاس اذكروا نعمة الله عليكم. هل من خالقٍ غير الله يرزقكم من السّماء والأرض﴾ أنّ نعم الله تعالى ورزقه يأتيان من السّماء والأرض. ونستطيع أن نفهم من الآية الكريمة التّاسعة : ﴿والله الّذي أرسل الرّياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميّت فأحيينا به الأرض بعد موتها. كذلك النّشور﴾ التّفاعل بإرادة الله تعالى بين بضع العوامل الجويّة والأرضيّة الّتي ينجم عنها إثارة الرّياح للسّحب وسوقها لها وإنزال المطر من السّماء وإحياء الأرض الميتة.

وإنّ النّاس في الأرض يصعد كلمهم الطّيّب إلى الله تعالى في السّماء وإنّ عملهم الصّالح يرفعه الله تعالى إليه ويقبله. جاء في الآية الكريمة العاشرة قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿إليه يصعد الكلم الطّيّب والعمل الصّالح يرفعه﴾.

والله تعالى يولج اللّيل في النّهار ويولج النّهار في اللّيل وسخّر الشّمس والقمر كلٌّ يجري في فلكه إلى يوم القيامة. جاء في الآية الكريمة الثّالثة عشرة قول الحقّ جلّ وعلا: ﴿يولج اللّيل في النّهار ويولج النّهار في اللّيل وسخّر الشّمس والقمر كلٌّ يجري لأجلٍ مسمّى. ذلكم الله ربّكم له الملك. والّذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ والله تعالى أنزل من السّماء ماءً فأخرج بذلك الماء الواحد ثمرات مختلفاً ألوانها من الشّجر المختلفة أنواعها. جاء في الآية الكريمة السّابعة والعشرين قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿ألم تر أنّ الله أنزل من السّماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها﴾.

والله تعالى أوحى إلى حبيبه ﷺ القرآن الكريم بواسطة مَلَكٍ كريمٍ في السّماء إلى رسولٍ كريم في الأرض. وكما كان الماء غذاء الأبدان كان الوحي غذاء الأرواح. جاء في الآية الكريمة الحادية والثّلاثين قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿والّذي

أوحينا إليك من الكتاب هو الحقّ مصدّقاً لما بين يديه. إنّ الله بعباده لخبيرٌ بصيرٌ﴾.

٥ - عناية سورة فاطر بالبعث بعد الموت كبيرة وفي تبيين ثواب المؤمنين وعقاب الكافرين. ومن الآيات الكريمات الّتي تحدّثت في هذه المعاني قول الحقّ جل وعلا[١] : ﴿وإن يكذّبوك فقد كُذِّبت رسلٌ من قبلك وإلى الله تُرْجع الأمور. يا أيّها النّاس إنّ وعد الله حقٌّ فلا تغرّنّكم الحياة الدّنيا ولا يغرّنّكم بالله الغَرور. إنّ الشّيطان لكم عدوٌّ فاتّخذوه عدوّا. إنّما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السّعير. الّذين كفروا لهم عذابٌ شديدٌ والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم مغفرةٌ وأجرٌ كبير﴾ وقال تعالى[٢] : ﴿والله الّذى أرسل الرّياح فتثير سحاباً فسُقناه إلى بلد ميّت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النّشور﴾ وجاء خطاباً للمشركين الّذين يزعمون أنّ الأصنام تقرّبهم إلى الله تعالى زلفى قول الحقّ جلّ وعلا[٣] : ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبّئك مثل خبير﴾ وكلّ إنسان مسئولٌ وَحْدَه عمّا عمل يوم القيامة. قال تعالى[٤] : ﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى. وإن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى حملها لا يُحْمَل منه شيءٌ ولو كان ذا قُربى. إنّما تنذر الّذين يخشون ربّهم بالغيب وأقاموا الصّلاة. ومن تزكّى فإنّما يتزكّى لنفسه وإلى الله المصير﴾.

والمؤمنون الّذين يقرأون القرآن الكريم ويقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة ويعملون الصّالحات يرجون يوم القيامة تجارةً رابحةً عند الله تعالى. قال تعالى[٥] : ﴿إنّ الّذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصّلاة وأنفقوا ممّا رزقناهم سراً وعلانيةً يرجون تجارةً لن تبور. ليوفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله. إنّه غفورٌ شكور﴾ وهؤلاء المؤمنون يدخلون جنّات النّعيم ويحمدون الله تعالى على ذلك.

---

(١) الآيات ٤-٧.

(٢) سورة فاطر ٩.

(٣) سورة فاطر ١٤.

(٤) سورة فاطر ١٨.

(٥) سورة فاطر ٢٩ و ٣٠.

فللّه تعالى الحمد كلّه في الأولى والآخرة. قال تعالى[1] : ﴿جنّاتُ عَدْنٍ يدخلونها يُحلَّوْن فيها من أساور من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير. وقالوا الحمد لله الّذى أذهب عنّا الحَزَن. إنّ ربّنا لغفورٌ شكور. الّذى أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصبٌ ولا يمسّنا فيها لغوب﴾.

أمّا الكافرون فلهم نار جهنّم. قال تعالى[2] : ﴿والّذين كفروا لهم نار جهنّم لا يقْضَى عليهم فيموتوا ولا يخفّف عنهم. من عذابها. كذلك نجزى كلّ كفور. وهم يصطرخون فيها ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الّذى كنّا نعمل. أو لم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر وجاءكم النّذير فذوقوا فما للظّالمين من نصير﴾ وتلك النّار جزاء الكافرين. قال تعالى[3] : ﴿ هو الّذى جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كُفْرُهُمْ عند ربّهم إلاّ مقتاً ولا يزيد الكافرين كفرهم إلاّ خسارا﴾ وتختتم السّورة الكريمة بالإشارة إلى يوم القيامة. قال عزّ من قائل[4] : ﴿ولو يؤاخذ الله النّاس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابّةٍ ولكن يؤخّرهم إلى أجلٍ مسمًّى فإذا جاء أجلهم فإنّ الله كان بعباده بصيرا﴾.

٦ - عُنيت السّورة الكريمة بتسلية المصطفى ﷺ في عدّة مواضع. قال تعالى[5] : ﴿وإن يكذّبوك فقد كُذِّبَتْ رسلٌ من قبلك. وإلى الله تُرْجع الأمور﴾ وقال تعالى[6] : ﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى. وإن تَدْعُ مثقَلَةٌ إلى حِمْلها لا يُحْمَلْ منه شيءٌ ولو كان ذا قُرْبى. إنّما تُنْذر الّذين يخشون ربّهم بالغيب وأقاموا الصّلاة. ومن تزكّى فإنّما يتزكّى لنفسه. وإلى الله المصير. وما يستوى الأعمى والبصير. ولا الظّلمات ولا النّور. ولا الظّلّ ولا الحرور. وما يستوى الأحياء ولا الأموات. إنّ

---

(١) سورة فاطر ٣٣-٣٥.

(٢) سورة فاطر ٣٦ و ٣٧.

(٣) سورة فاطر ٣٩.

(٤) سورة فاطر ٤٥.

(٥) سورة فاطر ٤.

(٦) سورة فاطر ١٨-٢٦.

الله يسمع من يشاء وما أنت بمُسْمعٍ من في القبور. إن أنت إلاّ نذير. إنّا أرسلناك بالحقّ بشيراً ونذيراً. وإن من أمّة إلاّ خلا فيها نذير. وإن يكذبوك فقد كَذَّب الّذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبيّنات وبالزّبر وبالكتاب المنير. ثمّ أخذت الّذين كفروا فكيف كان نكير﴾.

٧ - عُنِيَت السّورة الكريمة بالكتاب العزيز الّذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد فهو يتلوه البررة الأتقياء ويهتدون بهديه، وهو الحقّ من الله تعالى، وقد اصطفى الله تعالى به أمّة محمّد ﷺ. قال تعالى[1]: ﴿إنّ الّذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصّلاة وأنفقوا ممّا رزقناهم سراً وعلانيةً يرجون تجارةً لن تبور. ليوفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله. إنّه غفورٌ شكور. والّذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحقّ مصدّقاً لما بين يديه. إنّ الله بعباده لخبيرٌ بصير. ثمّ أورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله. ذلك هو الفضل الكبير﴾.

٨ - تكاد تكون عناية سورة فاطر بالألوان على جهة الزّينة والجمال أكثر من عناية أيّ سورة أخرى من سور القرآن الكريم. قال تعالى[2]: ﴿ألم تر أنّ الله أنزل من السّماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها. ومن الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانها وغرابيب سود. ومن النّاس والدّوابّ والأنعام مختلفٌ ألوانه كذلك إنّما يخشى اللهَ من عباده العلماء. إنّ الله عزيزٌ غفور﴾ إنّ لاختلاف الألوان وجمالها الخلاّب الأثر الحميد عند الّذين يخشون الله تعالى وبخاصّة العلماء.

---

(١) سورة فاطر ٢٩-٣٢.

(٢) سورة فاطر ٢٧ و ٢٨.

٩ - ممّا ساعد على ظاهرة تلاؤم الأصوات كي تبدو في أوجها الّذى يشبع كلّ نفس ويطرب كلّ أذن المعانى الثّنائيّة، والتّذييل، والفواصل. والمعانى الثّنائيّة تتجلّى في كلّ الآيات الكريمات، الطّويلات والمتوسّطات والقصيرات. وإنّ من ألطف ما يقال بشأن المعانى الثّنائيّة : إنّ كلّ مجموعة من المعانى كثيرة العدد أو قليلته تقبل القسمة على الرّقم اثنين. وقد بيّنّا هذه المعجزة البيانيّة في أثناء الدّراسة على جهة التّفصيل.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله ربّ العالمين.

مكّة المكرّمة
مساء يوم الأربعاء ١٦/٨/١٤٢٠هـ
الموافق ٢٤/١١/١٩٩٩م

كتبه الفقير إلى عفو ربّه
د. حسن محمّد باجودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة

رابعاً

سورة يس
حتى نهاية الجزء
الثّاني والعشرين

سُورَةُ يٰسٓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يٰسٓ ﴿١﴾ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ
إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ
ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ
إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن
لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى
فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

بين يدي التفسير

(١)

« الرّسول ﷺ ينذر بالقرآن الكريم الكافرين »

الآيات (١ ـ ١٢)

تبدأ السّورة الكريمة بالقول : ﴿يس﴾ الّذي يصحّ أن يكون من جنس الحروف المقطّعة الّتى تبدأ بها مجموعة من السّور. وهذه الحروف في رأي بعضهم امتدادٌ للتّحدّى بالقرآن الكريم المؤلّفة كلماته من هذه الحروف الّتى تتألّف منها كلمات العرب الّذين نزل القرآن الكريم بلسانهم. ويصحّ أن يكون ﴿يس﴾ من أسمائه ﷺ. والله تعالى أعلم. ويقسم الحقّ جلّ وعلا بالقرآن الحكيم معنىً، المحكم مبنى. ومن حقّه جلّ وعلا وحده الّذى لا يُسأل عمّا يفعل أن يُقْسِم بما شاء. أمّا المقسم عليه فإنّه النّبيّ الكريم والرّسول العظيم، صلوات الله تعالى وسلامه عليه. إنّ الحقّ جلّ وعلا يؤكدّ رسالة المصطفى ﷺ بمؤكّدين في القول : ﴿إنّك لمن المرسلين﴾ والنّبيّ ﷺ على صراطٍ مستقيم. والقرآن الحكيم تنزيل الله تعالى العزيز الرّحيم. وقد أرسل الله تعالى محمّداً ﷺ وأنزل عليه القرآن الكريم لينذر عليه الصّلاة والسّلام قومه الّذين ما أُنْذِر آباؤهم فهم غافلون عن الحقّ وعن الغاية الّتى خلقهم الله تعالى من أجلها وهي إفراده عزّ وجلّ بالعبادة. والعجيب في أمر كفّار مكّة إعراضهم عن دعوة الحقّ، وإصرارهم على الكفر وعلى الصّدّ عن سبيل الله تعالى، فحقّ عليهم قول الحقّ جلّ وعلا بدخول جهنّم. والأعجب من ذلك أنّ كفّار مكّة فرحون بكفرهم، سعداء بصدّهم عن سبيل الله تعالى، وقد عبّروا عن ذلك برءوسهم المرفوعة، وأنوفهم الشّامخة، وأعينهم المغمضة.

إنّ القرآن الكريم في مظهرٍ من مظاهر إعجازه، وهو البناء الهرميّ للمعانى، يبيّن أنّ هيئة الكافرين الّتى عبّروا بها عن كبرهم وسعادتهم وفرحهم، هي في

الحقيقة تعبيرٌ عن ذلّهم وشقاوتهم وحزنهم. إنّ الله سبحانه وتعالى قد جعل من بين أيديهم سداً حال بين النّور القادم من الأمام وبين أن يصلهم، فبزغ النّور القادم هذه المرّة من الخلف، ولكنّه صادف المصير ذاته، فأصبح القوم في ظلامٍ دامس، وكأنّ على عيون القوم غشاوةً فهم لا يبصرون. والحقيقة أنّ السّدّين معنويان، وكذلك الغشاوة. والمراد بالنّور الّذى لم يبصره الكافرون بأعينهم نور البصيرة الّتى عميت فلا تبصر نور الهداية. وحينما تعطّلت حاسّة البصر عملت حاسّة السّمع في الظّلام بل نَشِطَتْ. ولمّا كان المراد الأذن الواعية وليس الأذن السّامعة فقط فقد قرّر السّياق أنّه يستوى في حقّ الكافرين إنذار النّبيّ ﷺ لكافرى قومه وعدم إنذاره لهم. إنّهم لن يؤمنوا. وإنّما ينفع إنذار المصطفى ﷺ المؤمنين الّذين اتّبعوا القرآن الكريم وخشعوا لله تعالى بباعث الحبّ له عزّ وجلّ والخوف منه، وهم الّذين لا يراهم إلاّ الله تعالى الّذى يعلم ما توسوس به كلّ نفس ويُخْفى كلّ صدر. إنّ لهؤلاء مغفرةً لذنوبهم وأجراً عظيماً على حسناتهم من الرّبّ الكريم عزّ وجلّ. ويقرّر السّياق أنّ الله سبحانه وتعالى يحيى الموتى يوم القيامة للحساب والجزاء، ويكتب ما قدّموا في الدّنيا من أعمالٍ يجازيهم عليها، وكلّ شيءٍ يفعله الخلق مكتوبٌ في اللّوح المحفوظ.

(٢)

« عذاب مكذّبى المرسلين وثواب مصدّقيهم »

الآيات (١٣ ـ ٢٧)

من موضوعات سورة يس المكّيّة الكريمة تسلية المصطفى ﷺ. ومن أجل هذه الغاية ها هي ذي السّورة الكريمة تضرب المثل بأصحاب القرية الّتى كان موقف أصحابها من رسل الله تعالى الثّلاثة إليهم مشابهاً لموقف كفّار مكّة منه ﷺ. ولمّا

كان مصير أصحاب تلك القرية سيّئاً فقد أهلكهم الله تعالى بصيحة واحدة لواحد من خلقه فإنّ في هذا المصير تهديداً لكفّار مكّة وتنبيهاً لهم بأنّ هذا هو مصيرهم إن لم يؤمنوا ويعملوا صالحاً. يأمر السّياق المصطفى ﷺ أن يضرب لقومه الكافرين مثلاً أصحاب القرية الّتي أرسل لها الله تعالى ثلاثةً من الرّسل تباعاً. لقد كذّب أهل القرية الرّسل، وقالوا ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا، فكيف تزعمون أنّكم رسل الله تعالى، والمفروض في الرّسل أن يكونوا ملائكة، إن كان ثمّة رسلٌ على الحقيقة. وأعلن الكافرون أنّ الله تعالى ما أنزل من شيءٍ من الوحي وأنّ المرسلين كاذبون. وتجاه تكذيب القوم المرسلين أكدّ المرسلون أنّهم لمرسلون من الله تعالى وبيّنوا أنّ عليهم البلاغ المبين وَحْدَه.

وجرياً على عادة المشركين تطيّر أهل القرية من المرسلين، وألحقوا ما حلّ بهم من ضرّ بالمرسلين الّذين كانوا السّبب في ذلك حسب زعم الكافرين، وهدّدوا المرسلين بأنّهم إن لم يكفّوا عن دعوتهم لهم إلى التّوحيد ليرجمنّ الرّسل بالحجارة حتّى الموت، وليمسّنّ الرّسل منهم عذابٌ أليم.

قال المرسلون للكافرين إنّ سبب شؤمكم أنتم لأنّكم بدّلتم نعمة الله تعالى كفراً، وأشركتم الآلهة المزعومة مع الله تعالى في العبادة، وكذّبتم رسل الله تعالى إليكم. وازداد عجب المرسلين من إصرار الكافرين على التشاؤم من المرسلين لأنّهم ذكّروهم بالله تعالى ووعظوهم. الحقيقة أنّ المشركين قد تجاوزوا حقائق أقدارهم.

وشاء الله تعالى أن يحيط علماً رجلٌ مؤمنٌ بما يجرى بين المرسلين وبين قومه من حوار، فبادر إلى عمل ما يستطيع عمله قياماً بالواجب عليه من الدّعوة إلى دين الإسلام الّذى بعث الله تعالى به كلّ المرسلين والنّبيّين. جاء الرّجل المؤمن من أقصى المدينة يسعى، وقال يا قوم اتبعوا المرسلين الّذين لا يسألونكم أجراً على دعوتهم لكم إلى الله تعالى، وهم مهتدون، وعلى المحجة البيضاء سائرون. لقد ضرب الرّجل المؤمن المثل في الدّعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة. إنّه يجعل نفسه المحور الّذى ينفى عنه الصّفات السّيّئة الّتى يتّصف بها قومه. إنّه لا مانع يمنعه من أن يفرد الله تعالى بالعبادة، وهو الّذى فطره، وهو الّذى إليه يرجع

قومه يوم القيامة، فعليهم الإيمان والعمل لذلك اليوم. وهو ينكر على نفسه أن يتّخذ من دون الله تعالى الآلهة العاجزة الّتى لا تستطيع أن تغنى عنه شيئاً لو أراده الله تعالى بسوء، والّتى لا تنقذه من أيّ مكروه. إنّه لو فعل ذلك لفى ضلالٍ مبين. وبطبيعة الحال هذه الصّفات السّيّئة هي صفات قومه.

ويعلن الرّجل المؤمن على رءوس الأشهاد أنّه آمن بربّهم ويربّه فعليهم أن يسمعوا ويعوا ما يقول ويؤمنوا.

وكأنّ هذا الإعلان الأخير الصّريح هو الّذى حمل قومه على قتله فمات شهيداً فأدخله الله تعالى الجنّة.

قيل له ادخل الجنّة قال يا ليت قومي الّذين أخلصت لهم النّصيحة في الدّنيا يعلمون بما غفر لى ربيّ جلّ وعلا من ذنوب، وأكرمنى بدخول جنّات النّعيم. وإنّ الحقّ جلّ وعلا يوحى لحبيبه ﷺ أمنيّة هذا الرّجل المؤمن النّاصح الأمين. إنّه هو النّاصح الأمين لقومه في الأولى والآخرة. إنّ عليهم أن يؤمنوا في الأولى كي يدخلوا جنّات النّعيم في الآخرة.

التّفسير

(١)
(الرّسول ﷺ ينذر بالقرآن الكريم الكافرين ويبشّر المؤمنين)
الآيات (١ ـ ١٢)

يسٓ ﴿١﴾

من العلماء من ذهب إلى أنّ ﴿يس﴾ ممّا استأثر الله تعالى بعلمه فقال : الله أعلم بمراده به[1] ومن العلماء من ذهب إلى أنّ : ﴿يس﴾ من الحروف المقطّعة الّتى ابتدأت بها تسعٌ وعشرون سورةً من سور القرآن الكريم[2] وهذه الحروف المقطّعة في رأي بعضهم امتدادٌ للتّحدّى بالقرآن الكريم، لأنّ فيها تنبيهاً إلى أنّ هذه الحروف الّتى تتألف منها كلمات القرآن هي ذات الحروف الّتى تتألّف منها كلمات اللّسان العربيّ، ولكنّ القرآن الكريم نسيج وَحْده. ومن العلماء من ذهب إلى أنّ : ﴿يس﴾ وكذلك: ﴿طه﴾ من أسماء المصطفى ﷺ. جاء ـ مثلاً في كتاب : الشّفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عِياض[3] : «اختلف المفسّرون في معنى: ﴿يس﴾ على أقوال. فحكى أبو محمّد مكّيٌّ أنّه رُوِي عن النّبيّ ﷺ أنّه قال : لي عند ربّى عشرة أسماءٍ ذكَر منها أنّ طه ويس اسمان له».

---

(١) الجلالين.

(٢) انظر ـ مثلاً ـ معانى القرآن للفرّاء ٢/ ٣٧١ وتفسير الطّبرى ٢٢/ ٩٧.

(٣) ١/ ٣٢ دار الفكر بيروت بدون تاريخ.

وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾

والقرآن الحكيم : المحكم بما فيه من أحكامه وبيّنات حججه(١).

على صراط مستقيم : على طريق لا اعوجاج فيه من الهدى وهو الإسلام(٢).

تنزيل : مفعول مطلق لفعلٍ محذوف(٣).

لقد حقّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون : لقد وجب العقاب على أكثرهم لأنّ الله قد حتَمَ عليهم في أمّ الكتاب أنّهم لا يؤمنون بالله ولا يصدّقون رسوله(٤).

يقسم الحقّ جلّ وعلا بالقرآن الحكيم، المحكم النّسج، الحكيم المعنى، بأنّ محمّد بن عبد الله ﷺ لمن المرسلين الّذين أرسلهم الله تعالى إلى النّاس، وأكرمهم بالوحي، وبتكليم الله تعالى لهم، وبإرسالهم إلى قومهم بما خصّهم الله تعالى من تكاليف. وإنّك يا محمّد على صراط مستقيم لا اعوجاج فيه هو دين الإسلام الّذي بعث به عزّ وجلّ محمّداً ﷺ. والقرآن الكريم تنزيل العزيز في ملكه، الرّحيم بخلقه إذا تابوا وأنابوا إلى الله تعالى. وقد أرسل الله تعالى محمّداً ﷺ لينذر قوماً ما أتاهم من نذير من قَبْله عليه الصّلاة والسّلام، وهم العرب الّذين لم يبعث الله تعالى إليهم زمنَ الفترة نبيّاً ولا رسولا. لذلك هم غافلون عن الهدف الّذي خلقهم الله تعالى من أجله وهو إفراده عزّ وجلّ بالعبادة وعمل الصّالحات الّتي يراد بها وجه الله تعالى.

---

(١) تفسير الطّبري ٢٢/ ٩٧.

(٢) تفسير الطّبري ٢٢/ ٩٧.

(٣) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/ ٣٦٤.

(٤) تفسير الطّبري ٢٢/ ٩٨.

لقد حقّ القول على أكثر قوم المصطفى ﷺ بدخول النّار وبئس القرار لأنّه سبق علم الله تعالى إلى أنّهم لن يؤمنوا رغم إرسال خاتم النّبيّين ﷺ وإنزال أشرف الكتب السّماويّة. وقد نصّ على القول الّذى حقّ والكلمة الّتى تمّت قوله عزّ من قائل في سورة هود[1] : ﴿وتمّت كلمة ربّك لأملأنّ جهنم من الجنّة والنّاس أجمعين﴾.

وبشأن الاسمين الكريمين من أسماء الله تعالى الحُسنَى في القول : ﴿تنزيل العزيز الرّحيم﴾ يُلاحَظ أنّ سورة يس: المكّيّة الكريمة من أوّلها إلى آخرها تُصبغ معانيها بصبغتى العزّة والرّحمة تمشّياً مع الاسمين الكريمين في الآية الكريمة.

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى
الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾

أغلالاً : الأغلال جمع الغُلّ، بضمّ الغين[2] وهو الحديدة الّتي تجمع يد الأسير إلى عنقه، ويقال لها جامعةٌ أيضا[3].

فهي : الضّمير يعود إلى الأيدى لأنّ الأغلال تجمع بطبعها بين الأعناق والأيدى[4].

إلى الأذقان : الأذقان جمع الذّقَن بحركتين، والذِّقْن بكسر الذّال وسكون

(١) الآية الكريمة ١١٩ وانظر الآية الكريمة ١٣ من سورة السّجدة

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «غلّ» ٢/ ٤٧٠.

(٣) لسان العرب : «غلل».

(٤) انظر تفسير الطّبرى ٢٢/ ٩٨ وتفسير ابن كثير ٦/ ٥٤٩ والجلالين ولسان العرب : «قمح».

القاف، وهو مجتمع اللّحيين من أسفلهما[1] واللّحي بفتح اللّام منبت اللّحية من الإنسان وغيره[2].

فهم مقمَحون : مقمحون جمع مُقْمَح، وهو البعير الّذي يرد الماء ولكنّه لا يستطيع أن يشرب بسبب داء أو بَرْد فيرفع رأسه ويغمض عينه[3].

فأغشيناهم : فجعلنا على أبصارهم غشاوة[4].

الذّكر : القرآن الكريم[5].

بالغيب : أي حيث لا يراه أحدٌ إلاّ الله، يعلم أنّ الله مطّلعٌ عليه، وعالمٌ بما يفعله[6].

لقد أرسل الله تعالى رسوله الكريم محمّداً ﷺ إلى كفّار مكّة وأنزل عليه القرآن العظيم فما ازداد كفّار مكّة إلاّ استكباراً وعتوّا. والعجيب في كفّار مكّة أنّهم فرحون بكفرهم، سعداء بكبرهم. وقد تجلّى كبرهم في الهيئة الّتى هم عليها والّتي تشبه حال البعير الّذى يضطرّ لأن يرفع رأسه عن الماء دون أن يشرب بسبب مرض البعير أو برد الماء. إنّ ظاهر البعير من ارتفاع برأسٍ وشموخٍ بأنف، وإغماضٍ لعين، يوهم الغرّ والغُفْل بأنّه المرتوى بالماء، السّليم المِشْفر، الصّحيح الفم. والحقيقة أنّه بعكس ذلك كلّه.

وإنّ حال كفّار مكّة كحال البعير المُقْمَح الّذى يخالف جوهرُه شكلَه وباطنُه ظاهرَه. إنّ كفّار مكّة الّذين أعمى الله تعالى بصائرهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً وهم الأخسرون أعمالاً على الحقيقة. إنّهم يرفعون رءوسهم تيهاً، ويشمخون بأنوفهم كبراً، ويغمضون أعينهم استعلاءً. إنّهم يعبّرون بكلّ ذلك عن عظيم

---

(١) لسان العرب : «ذقن».

(٢) لسان العرب : «لحا».

(٣) انظر لسان العرب : «قمح».

(٤) تفسير الطّبرى ٢٢/٩٩.

(٥) تفسير الطّبرى ٢٢/٩٩.

(٦) تفسير ابن كثر ٦/ ٥٥١.

فرحهم بكفرهم، وعميق سعادتهم بعنادهم، وبالغ ابتهاجهم بصدّهم عن سبيل الله تعالى.

والحقيقة أنّ كفّار مكّة يمثّلون الذّلّ في أبشع صوره والهوان في أحطّ دَرَكاته. إنّ هيئة كفّار مكّة في جوهرها هيئة الذّليل الأسير العانى الّذى شدّ الغلّ يديه المقيّدتين إلى عنقه المقيّد شداً قوياً، فلصقَت اليدان بالعُنُق، ورَفَعَت الرّأس اضطراراً، واضطرّ المَهينُ أن يغمض عينيه تعبيراً عن إحساسه العميقَ بالذّلّ والهوان. إنّ حال كفّار مكّة الأذلاء المهينين الّذين يخالف ظاهرهم حقيقة باطنهم تشبه حال البعير المُقْمَح الّذى يخالف ظاهره حقيقة باطنه. إنّ ظاهر البعير الصّحّة والسّلامة، وإنّ حقيقة البعير المرض والسّقامة. وإنّ ظاهر كفّار مكّة الكبر والمرح، وإنّ حقيقة كفّار مكّة الذّل والتّرح.

وبما أنّ كفّار مكّة قد استعير للواحد منهم حال البعير الّذى يرفع رأسه عن الماء اضطراراً ويشمخ بأنفه ويغمض عينيه، فكيف يستطيع كفّار مكّة أن يروا بعيونهم الّتى في رءوسهم؟ يستطيعون أن يروا حينما تُفْتح عيونهم اختياراً أو اضطرارا. وإنّ كفّار مكّة الّذين تلك هي حال رءوسهم لو قدّر لعيونهم أن تُفْتح وأن تَرَى النّور فأيّ الجهات تستطيع أن ترى وأيّ الجهات لا تستطيع أن ترى؟ إنّها تستطيع أن ترى الجهة الّتى أمامها وَحْدَها. إنّها بسبب عدم استطاعتها أن تحرّك رءوسها لا تستطيع أن ترى يمينها وشمالها ومن باب الأولى خلفها.

وإنّ الّذي يستطيع أن يرى الجهة الّتى أمامه وَحْدَها حينما يكون في ظلامٍ دامس، وحينما يكون ثمّة نوران، أحدهما قادمٌ من الأمام والآخر آت من الخلف، أيّ النّورين يستطيع أن يطغى على الآخر وبالتّالى يراه النّاظر؟ إنّ النّور القادم من الأمام هو القادر على أن يفرض وجوده ويطغى على النّور الآتى من الخلف. فإذا غاب النّور القادم من الأمام ظهر النّور الآتي من الخلف.

لقد نبّهت الآية الكريمة على هذا التّرتيب للنّورين في قول الحقّ جلّ وعلا: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ إنّ النّور القادم من الأمام قد وُضِع في طريقه سدّ فحيل بينه وبين أن يصل القوم واختفى، فظهر بعد ذلك النّور الآخر الآتي هذه المرّة من الخلف. وكان حظّ النّور

الآخر مشابهاً لحظّ النّور الأوّل. لقد وُضِع في طريقه هو الآخر سدٌّ آخر، فأمسى القوم في ظلامٍ دامس. وكأنّ القوم قد وُضعت على عيونهم غشاوة، وحيل بين العين وبين أن ترى بسبب الغطاء الّذى وُضِعَ عليها. وكانت النّتيجة أنّ القوم لا يُبْصرون.

والحقيقة أنّنا بصدد مجموعة من الاستعارات. والحقيقة أنّنا بصدد مظهرٍ رائعٍ وعجيبٍ من مظاهر إعجاز هذا الكتاب العزيز الّذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد. وهذا المظهر من مظاهر الإعجاز يمكن أن نعبّر عنه بالبناء الهرميّ للمعانى، بحيث إنّ المعاني يجب أن تكون وَفْق التّرتيب الّذى جاءت فيه، ويستحيل تقديم جزئيّةٍ من جزئيّات المعنى على جزئيّةٍ أخري أو تأخيرها.

وكما كنّا بشأن شكل الكافرين الّذى يخالف جوهرهم أمام استعارة البعير المقمح للكافر المخدوع عن حقيقة ذاته، كنّا بشأن السّدّين والغشاوة وعدم وصول النّور إلى العيون فهي لا تبصر، أمام مجموعةٍ من الاستعارات. إنّ المحسوسات تستعار هنا لتقريب المعنويّات.

إنّ الأسلوب يتعامل في الظّاهر مع السّدّين الحسّيّين، ومع الغشاوة الحسّيّة على العين، ومع النّور، ولكن لا تبصره العينان، بسبب السّدّ خارج العين، والغشاوة على العين. والحقيقة أنّ السّدّين معنويّان، وكذلك الغشاوة. وإذا كان التّعامل في الظّاهر مع النّور الّذى تبصره العينان فالحقيقة أنّ المراد نور البصيرة وأنّ الّذى لا يبصر هنا البصيرة الّتي عميت والقلوب الّتى خُتِم عليها.

إنّ الكافرين أعرضوا عن دعوة الحق، وأغمضوا أعينهم عن نور الهداية، فزاد الله تعالى قلوبهم إعراضاً وأعينهم عمى. وإنّ نون العَظَمة الّتى جاءت في الآية الكريمة في القول: ﴿وجعلنا﴾ والقول: ﴿فأغشيناهم﴾ تشير إلى استحقاق الكافرين أن يزيد الله تعالى قلوبهم المعرضة عن الحقّ إعراضاً، وأعينهم المعرضة عن نور الهداية عمى.

ويلاحظ أنّ التّعامل هنا تمّ مع العين ابتداءً وليس مع السّمع كالمعتاد، لأنّ العين الّتى أغمضها الكافرون دليلاً على الفرح بالكفر، والمرح بالكبر كان لها دورٌ

إيجابيّ عزّز شموخهم بالأنوف ورَفْعَهُمْ للرّءوس، دليل الاستكبار والمكر السّيىء. وبما أنّ العين هنا لا تستطيع أن ترى إلاّ النّور الّذى أمامها، القادم من الأمام أو الآتى من الخلف كان في الآية الكريمة اقتصارٌ على سدّين اثنين فقط مَنَعَ كلٌّ منهما نوراً على التّوالى، فكان القوم في ظلامٍ دامسٍ حِسّاً، في عمى بصيرةٍ معنى.

وحينما تتعطّل حاسّة البصر بسبب عدمٍ وجود النّور أو عدم وصوله وبسبب إطباق الظّلام تعمل حاسّة السّمع في العادة بل تنشط. وقد نبّه السّياق إلى هذه الحقيقة حينما خاطب المصطفى ﷺ بقصد التّسلية عنه وأخبره بأنّه يستوى في حقّ الكافرين أن ينذرهم المصطفى ﷺ وألاّ ينذرهم. إنّهم في كلتا الحالتين لا يؤمنون. وحينما ينصّ السّياق على النّتيجة، وهي عدم إيمان القوم، وليس عدم سماع القوم، نفهم أنّ التّعامل هنا ليس مع الأذن المجرّدة الّتي تسمع الأصوات ولكن لا تعى معانيها، إنّما التّعامل مع الأذن الواعية الّتى تستمع القول فتتّبع أحسنه. وبما أنّ الكافرين عطّلوا العمل الحقيقيّ للأذن وهو الوعي فذلك دليلٌ على اكتفائهم بالسّماع المجرّد، فانحطّوا بذلك إلى درك الأنعام الّتى تسمع ولكن لا تعى. بل إنّ الكافرين أضلّ سبيلاً وأحطّ دَرَكاً من الأنعام الّتى تحرص بغريزتها على ما ينفعها. أمّا هؤلاء الكافرون فإنّهم يحرصون على ما يضرّهم ولا ينفعهم.

ولا يكاد العجب ينتهى من الكافرين حينما نتبيّن أنّهم يعملون بجدٍّ كيلا يسمعوا صوت الحقّ أصلاً، خوفاً من أن يسحبهم السّماع المجرد إلى السّماع الواعى! وإلى هذا العمى للقلوب الّتى في الصّدور أشار مثْلُ قوله تعالى[1]: ﴿وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه لعلّكم تَغْلبون﴾.

وتتأكّد تسلية المصطفى ﷺ حينما يقصر السّياق الانتفاع من الإنذار على المؤمنين الّذين اتّبعوا القرآن الكريم، فكان لهم النّورَ المبين والسّراجَ المنير، والّذين خَشُوا الرّحمن الرّحيم بالغيب، حيث لا يراهم مخلوق، ويعلمون يقيناً أنّ الله تعالى معهم، سامعٌ لما يقولون، عالمٌ بما يفعلون.

إنّ هؤلاء المؤمنين أهلٌ لأن يبشّرهم المصطفى ﷺ بالمغفرة من الله تعالى لذنوبهم، وبالأجر العظيم على حسناتهم من الله تعالى الجواد الكريم الّذى وسعت رحمته كلّ شيءٍ وحيّ.

---

(١) سورة فصلت ٢٦.

ويلاحظ أنّ لفظ : ﴿الرّحمن﴾ بالذّات هو الّذى يجيء في الآية الكريمة: ﴿إنّما تنذر من اتّبع الذّكر وخشي الرّحمن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجر كريم﴾ ومعروفٌ أنّ: ﴿الرّحمن﴾ عظيم صفات الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصّمد الّذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وصفة الرّحمة تتمشّى مع اسم الرّحيم الّذى جاء في الآية الكريمة الخامسة: ﴿تنزيل العزيز الرّحيم﴾ إنّ الرّحيم هو الّذي يرحم المؤمنين. وإنّ العزيز هو الّذى يزيد الكافرين عمىً إلى عماهم، وصمماً إلى صممهم، ويجعل عزّهم الظّاهر ذلاً على الحقيقة. وبذلك يتأكّد ما ذهبنا إليه من كون صفتي العزّة والرّحمة تصبغان معاني السّورة الكريمة بلونيهما.

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

إنّ الله سبحانه وتعالى يحيى الموتى يوم القيامة، ويكتب ما قدّم النّاس في الحياة الدّنيا من خير أو شرّ في كتاب كي يثيب المحسنين ويعاقب المسيئين يوم القيامة. وكلّ شيء أحصاه الله تعالى في كتاب واضح المباني والمعاني هو اللّوح المحفوظ فيجازي كلاً بما فعل.

وواضحٌ أنّ الآية الكريمة تتحدّث في موضوع البعث بعد الموت. ويكاد يكون هذا الموضوع المحور الّذى تدور حوله السّورة الكريمة.

وقد وردت أحاديثُ نبويّةٌ شريفة في كتابة الأعمال والجزاء عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشرّ. روي الإمام مسلم عن جرير بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: من سنّ في الإسلام سنّةً حسنةً كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئا. ومن سنّ في الإسلام سنّةً سيّئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده. من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً[1] وروى الإمام مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث، من علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له، أو صدقةٍ جاريةٍ من بعده[2].

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٥٥١.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٥٥١.

(٢)
(عذاب مكذّبي المرسلين
وثواب مصدّقيهم)
الآيات (١٣ ـ ٢٧)

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ
إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ
ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ
إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾

واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية : ومثّل يا محمّد لمشركي قومك مثلاً أصحاب القرية، ذكر أنّها أنطاكيه(١).

إذ جاءها المرسلون : كانوا رسلاً أرسلهم الله إليهم(٢) وكان هذا الإرسال قبل المسيح. وأهل القرية كذّبوا أولئك الرّسل فأهلكهم الله(٣).

فعزّزنا بثالث : فشدّدناهما بثالث وقوّيناهما به(٤).

إن أنتم إلاّ تكذبون : ما أنتم إلاّ تكذبون(٥).

ومثّل يا محمّد لمشركي قومك مثلاً أصحاب القرية الّتي جاءها فعلاً المرسلون الّذين أرسلهم الله تعالى إلى أهلها. لقد أرسل الله تعالى إليهم رسولين كريمين فكذّبوهما، فقوّاهما الله تعالى وأيّدهما برسول ثالث فقال الرّسل الثّلاثة لهم : إنّا إليكم مرسلون من الله تعالى كي تفردوه عزّ وجلّ بالعبادة. قال أهل القرية للمرسلين : ما أنتم إلاّ بشرٌ مثلنا والمفروض في المرسلين أن يكونوا ملائكة،

---

(١) تفسير الطّبرى ٢٢/١٠١.

(٢) تفسير الطّبرى ٢٢/١٠١.

(٣) الجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/٢٠٩ مطبعة المدنى بالقاهرة بدون تاريخ.

(٤) تفسير الطّبرى ٢٢/١٠١.

(٥) الجلالين والجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/٣٦٨.

إن كان ثمّة مرسلون بالضّرورة، وما أنزل الرّحمن عليكم من كتابٍ ولا وحيٍ ولا أمركم فينا بشيء[1] ما أنتم أيها الزّاعمون بأنّكم رسل الله تعالى إلاّ تكذبون على الله تعالى وعلينا.

وتجاه تكذيب أهل القرية الرّسل الثّلاثة كان في ردّ المرسلين مزيد توكيدٍ لم يكن في قولهم السّابق : قال المرسلون : ربّنا عزّ وجلّ يعلم إنّا إليكم لمرسلون منه جلّ وعلا. وما علينا إلاّ البلاغ المبين، بتبليغ الرّسالة وتأدية الأمانة. إنّا لا نملك سوى ذلك ولهذا لم يكلّفنا الله تعالى إلاّ وسعنا وما هو في حدود طاقتنا.

وواضحٌ أنّ الهدف من ذكر قصّة أصحاب القرية تسلية المصطفى ﷺ الّذى كان يصادف آنذاك من مشركى قريته ما صادفه المرسلون الثّلاثة.

ويلاحظ أنّ المشركين يجيء على ألسنتهم لفظ : ﴿الرّحمن﴾ من بين أسماء الله تعالى الحُسنى. وهذا من الأدلّة على ما أومأنا إليه من أنّ صفتي العزّة والرّحمة في الآية الكريمة الخامسة من السّورة الكريمة : ﴿تنزيل العزيز الرّحيم﴾ تصبغان السّورة الكريمة بلونيهما. وسوف نتبيّن أنّ الرّجل المؤمن يجيء على لسانه اللّفظ ذاته في الآية الكريمة الثّالثة والعشرين.

قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

إنّا تطيّرنا بكم : تشاءمنا بكم فإن أصابنا بلاءٌ فمن أجلكم[2] .

لنرجمنّكم : بالحجارة[3] .

---

(١) انظر تفسير الطّبرى ٢٢/ ١٠١.

(٢) تفسير الطّبرى ٢٢/ ١٠١.

(٣) تفسير الطّبرى ٢٢/ ١٠٢.

قالوا طائركم معكم : قالوا شؤمكم معكم بكفركم(١) .

أئن ذكّرتم : الهمزة للاستفهام والمراد به التّوبيخ. إن : شرطيّة. ذكّرتم : مبنى للمجهول في محلّ جزم فعل الشّرط. و:تم: نائب الفاعل. وجواب الشّرط محذوف تقديره : تطيّرتم وكفرتم(٢) .

مسرفون : متجاوزون الحدّ بشرككم(٣) .

هذا هو الموضع الثّالث والأخير في القرآن الكريم الّذى يكون فيه الحديث عن التّطيّر بمعنى التّشاؤم على طريقة الجاهليين، وعنه بالمعنى الإسلاميّ الّذى يصحّح للجاهليّين فهمهم للتّطيّر الّذى جاء على ألسنة الكافرين. والموضعان السّابقان في سورة الأعراف في الآية الكريمة الحادية والثّلاثين بعد المائة، وفي سورة النّمل في الآية الكريمة السّابعة والأربعين.

ولمّا كانت آية سورة الأعراف هي الموضع الأوّل من المواضع الثّلاثة فقد درسنا ظاهرة التّطيّر بإسهاب في أثناء تفسير الآية الكريمة. ونودّ أن نشير هنا بإيجاز إلى أهمّ معالم الدّراسة :

١ - عمليّة التّطيّر عند العرب ترتبط بإهاجتهم للطّائر أساساً. فإذا اتّجه الطّائر ذات اليمين تفاءلوا وسمّوا ذلك الطائر : السّانح، لأنّه يمكّن الصّائد من إصابته بالسّهم. وإذا اتّجه الطّائر ذات الشّمال تشاءموا، وسمّوا ذلك الطّائر : البارح، لأنّه لا يمكّن الصائد من إصابته بالسّهم. ويلاحظ أنّ عمليّة التّطيّر ترتبط أساساً بكلٍّ من التّفاؤل والتّشاؤم، ثمّ اقتصرت بعد ذلك على التّشاؤم. وإذا كانت عمليّة التّطيّر قد ارتبطت بالطّائر أساساً فإنّها اتّسعت بعد ذلك فشملت غير الطّائر مِنْ ظبي وحيوان فلاة وما إلى ذلك.

٢ - ربط المشركون ما أصابهم من ضُرٍّ وأذىً برسل الله تعالى إليهم فزعموا أنّ ما أصابهم كان بسبب وجود الرّسل بين ظهرانَيْهِم وكَذَبوا.

---

(١) الجلالين.

(٢) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/ ٣٧٠ والجلالين.

(٣) الجلالين.

٣ - إذا كانت عمليّة التّطيّر قد خضعت لظاهرة تطوّر الدّلالة فاقتصرت على التشاؤم بعد أن كانت تشمل كلاً من التفاؤل والتّشاؤم فإنّ لفظة الطّائر قد خضعت لهذه الظّاهرة بدرجة أكبر. وبناءً على سلسلة المعاني الآخذ بَعْضُها بِحُجَز بعض يصحّ أن يكون تطوّر الدّلالة على نحوٍ قريبٍ ممّا يأتي :

تُطْلَقُ لفظة طائر على الطّائر المعروف. وتطلق على ما تيمنت به أو تشاءمت. وعلى العمل المترتّب على التفاؤل أو التّشاؤم، وعلى الحظّ المترتّب على ذلك العمل والنّصيب والبَخْت.

إنّ الكافرين ينظرون من منطلقٍ جاهليٍّ لرسل الله تعالى، ومن ثمّ هم يتطيّرون بهم، أي يتشاءمون بهم، ويرون أنّهم السّبب فيما حلّ بهم من قحط، ونزل بهم من عذاب. وكذبوا. ومعنى الآية الكريمة من سورة يس بناءً على ذلك : قال المشركون لرسل الله تعالى : إنّا تشاءَمْنا بكم لأنّكم السّبب فيما نالنا من عذابٍ وحلّ بنا من قحط. لئن لم تكفّوا عن دعوتكم لنا إلى توحيد الله تعالى لنرجمنّكم بالحجارة حتّى الموت، ولينالنّكم منّا عذابٌ موجع.

وفي ردّ الرّسل الثّلاثة على الكافرين نتبيّن ما يسمّى بمراعاة النّظير أو المشاكلة. إنّ رسل الله تعالى يستخدمون لفظ : «طائر» ويريدون المعنى الإسلامي وهو أنّ ما حلّ بهم من عذابٍ وقحطٍ وجدبٍ وما إلى ذلك كان بسبب أعمالهم السّيئة الّتي خالفوا بها أوامر الشّارع الحكيم ونواهيه. ومعنى الآية الكريمة على ألسنة رسل الله تعالى : قالوا طائركم معكم وسبب شؤمكم وما نزل بكم من عذاب هو عملكم السّيىء، فقد بدّلتم نعمة الله تعالى كفراً فانتقم منكم.

وفي أسلوب الاستفهام الإنكاريّ يقول الرّسل للمشركين أئن ذكّرناكم بطريق الهدى ونبّهناكم على الهدف الّذى خلقكم الله تعالى من أجله، وهو إفراده عزّ وجلّ بالعبادة تطيّرتم وكفرتم! الحقيقة أنّكم قومٌ مسرفون تجاوزتم كلّ الحدود المنطقيّة الّتى ينبغى أن تقف عندها أقداركم.

بقي علينا أن نشير إلى أنّ لفظة طائر انتهى بها تطوّر الدّلالة إلي إفادة معنى كتاب الأعمال يوم القيامة، ذلك الكتاب الّذى لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ

أحصاها. وواضحٌ علاقة هذا المعنى الجديد بمعنى العمل الّذى تفيده لفظة الطّائر ضمن ما تفيد من معان. وهذا المستوى من التّطوّر الدّلاليّ للفظة طائر لم ترق إليه اللّغة العربيّة قبل الإسلام ولم تقترب من أجوائه. وفي هذا دليلٌ على أنّ الكتاب العزيز نهض بخصائص اللّغة العربيّة وسما بها إلى أرحب الآفاق. وهذا المعنى ارتبط بالآية الكريمة الثّالثة عشرة من سورة الإسراء. قال تعالى: ﴿وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا﴾.

إنّ كتاب الأعمال المعلّق يوم القيامة في عنق الإنسان بمثابة الطّوق الّذى يَزينُ عنق الحمامة ويحلّى جيدها حينما يكون العمل صالحاً. وإنّه بمثابة الغُلّ الّذى يقيّد العنق ويشدّ اليد إلى العنق شداً، حينما يكون العمل سيّئا.

وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن
لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى
فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

أراد الكافرون المعاندون أن يبطُشوا بالمرسلين الثّلاثة وأن يقتلوهم، وعلم بما ينوى الكافرون المعاندون القيام به ضدّ المرسلين أحد الّذين تمكّنت بشاشة الإيمان من قلوبهم فصمّم على أن يعمل ابتغاء وجه الله تعالى للمرسلين شيئا. ويقال إنّ

اسم هذا الرّجل حبيب النّجّار[1] وكان يسكن الجانب الآخر القصّي من المدينة، فأسرع في سيره واجتهد في سعيه واتّجه إلى حيث القوم يعملون من أجل تنفيذ خطّتهم الخسيسة. نادى الرّجل المؤمن قومه على رءوس الأشهاد وقال لهم: ﴿اتّبعوا المرسلين﴾ اتّبعوا هؤلاء الّذين أكرمكم الله تعالى بإرسالهم إليكم والّذين لا يسألونكم أجراً على العمل العظيم الّذى يقومون به، والجهد الكبير الّذى يبذلونه من أجل إخراجكم من ظلمات الشّرك إلى نور التّوحيد. وهم المهتدون الّذين اصطفاهم الله تعالى بكبرى نعمه، وهي نعمة الرّسالة.

واستمرّ المؤمن الحكيم الّذى انطقه الله تعالى بالحقّ يقول: وما الّذي يمنعني شخصياً أن أعبد الله تعالى الّذى أوجدني من العدم وإليه تُرْجعون يوم القيامة للحساب والجزاء. ويلاحظ أنّ هذا الرّجل الحكيم ينفى عن نفسه الشّرك الّذى يتّصف به قومه على الحقيقة. كما أنّه في تقريره للبعث هو يخاطب قومه من أجل أن يؤمنوا بيوم القيامة ويعملوا من أجل ذلك اليوم في هذه الحياة الأولي بالإيمان وعمل الصّالحات. ومعروفٌ أنّ قضيّة البعث بعد الموت المحور الّذى تدور حوله سورة يس المكّيّة الكريمة.

وهذا الرّجل المؤمن الحكيم يجعل نفسه المحور الّذى ينفى عنه صفة الشّرك الّتى يتّصف بها قومه حينما تعجز تلك الآلهة المزعومة عن دفع الضّرّ الّذى لو أراده الله تعالى أن يوقعه به لفعل. إنّه في أسلوب الاستفهام الإنكاريّ يقول عن نفسه ويعنى قومه: أأتّخذ من دون الله تعالى الواحد الأحد آلهةً إن يردن الرّحمن الرّحيم بضرّ وشدّة لا تغنن عنّى شفاعة تلك الآلهة المزعومة شيئاً ولا يستطيعون إنقاذي ممّا أنا فيه من كربٍ وسوء. ويلاحظ أنّ اسم ﴿الرّحمن﴾ هو الّذى يأتى على لسان هذا المؤمن من بين أسماء الله تعالى الحُسْنى. وذلك معمّقٌ لصفة الرّحمة الّتى قلنا إنّها هي وصفة العزّة تصبغان السّورة الكريمة بلونيهما. ويستمرّ الرّجل المؤمن قائلاً: إنّى لو فعلت ذلك لكنت في ضلالٍ بيّن. ومعروفٌ أنّه يريد قومه وأنّه حريصٌ على ألاّ تأخذهم العزّة بالإثم.

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٥٥٦.

وكأنّ الّذى أزعج القـوم يقيناً وهيّجهـم عليه حتّى قتلوه القـول الّذى أجراه الحقّ جلّ وعـلا على لسان هذا الرّجل المـؤمن : ﴿إنّى آمنت بربّكم فاسـمعـون﴾ ويلاحظ أنّه يعلن إيمانه بصريح اللّفظ أمام الملأ وعلى رءوس الأشهاد. وهكذا قتل القوم بإرادة الله تعالى هذا الرّجل المؤمن بدل أن يقتلوا المرسلين.

وقد أكـرم الله تعالى هذا المـؤمن الشّهيد بالجنّة الّتى فيـها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بـشر. وها هو ذا يقال له : ﴿ادخل الجنّة﴾ وها هو ذا يقـول : ﴿يا ليت قـومى يـعلمـون. بما غـفـر لى ربّى وجـعلنى من المكرمين﴾ إنّ هـذا الرّجل هو النّاصح الأمين لـقـومـه في الأولـى والآخـرة. إنّه محضهم النّصح في الأولى. وها هو ذا يمحض قومه النّصح في الآخرة. وإنّ ربّ العزّة والجلال يوحى لحـبيبه محـمّد ﷺ قصّة أصحـاب القرية الشّبيـهة بقرية مكّة بقصـد تسليته عليـه الصّلاة والسّلام، ويوحى بما جـرى على لسان المؤمن النّاصح الأمين وهو في جنّات النّعـيم. يا ليت قـومى يعلمون كـي يؤمنوا ويبذلوا الغـالي والرّخيص في سبيل رفعة دين الإسلام لله تعـالى ربّ العالمين. لقد غفر الله تعالى ذنب هذا الرّجل المؤمن، وجـعله الله تعالى من المكرمين بدخـول الجنّة، نسأل الله تعـالى أن يجعـلنا من أهل الجنّة، وأن يلحـقنا بالصّـالحين . إنّه عزّ وجلّ جـوادٌ كريم. آمين.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

مكّـة المـكرّمـة
صبيحة يوم الاثنين ٢١/٨/١٤٢٠هـ
الموافق ٢٩/١١/١٩٩٩م

كـتبـه الفـقـير إلى عـفـو ربّه
د. حـسن مـحـمّـد باجـودة
أستاذ الدّراسات القرآنيّة البيانيّة
جامـعة أمّ القرى بمـكّة المكرّمة

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الآيات	رقم الصفحة
المقدمة		٧
أوّلاً: تمام سورة الأحزاب		٩
بين يدي التّفسير		١٧
التّفسير		٣٥-١٣٤
١ـ أمّهات المؤمنين أُسوةٌ حسنةٌ للمؤمنات وبعض نعوت المؤمنين والمؤمنات.	٣١-٣٥	٣٧
٢ـ محمد ﷺ رسول الله وخاتم النّبيّين، وليس أبا أَحَد من رجال النّاس.	٣٦-٤٠	٥٣
٣ـ الله تعالى يصلّي على المؤمنين والنّبيّ ﷺ سراجٌ منير.	٤١-٤٨	٧٥
٤ ـ أحكامٌ عامّةٌ للمؤمنين، وأحكامٌ خاصّةٌ بالنّبيّ ﷺ.	٤٩-٥٢	٨٩
٥ ـ الله تعالى وملائكته يصلّون على النّبيّ فصلّوا عليه أيّها المؤمنون وسلّموا، ولا تؤذوا أيّها النّاس المؤمنين والمؤمنات.	٥٣-٥٨	١٠٣
٦ـ المنافقون والكافرون ملعونون في الدّنيا والآخرة.	٥٩-٦٨	١١٧
٧ـ ثواب المؤمنين والمؤمنات الّذين يطيعون الله ورسوله عظيم، وعذاب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات أليم.	٦٩-٧٣	١٢٧
تعقيب		١٣٥
ثانياً: سورة سبأ		١٥٥
بين يدي التّفسير		١٦٥

التّفسير		١٧٩-٢٤٤
١ـ لله تعالى الحمد في الأولى والآخرة، وعذاب المنكرين للسّاعة، وثواب المؤمنين بها العاملين من أجلها.	١-٩	١٨١
٢ـ داود وسليمان عليهما السّلام.	١٠-١٤	١٩٥
٣ـ كفرت سبأ نعم الله تعالى فجعلها أحاديث ومزّقها كلّ ممزّق.		٢٠٧
٤ـ الآلهة المزعومة عاجزةٌ في الأولى والآخرة، والله تعالى قادرٌ على كلّ شيء، فآمنوا به، وبرسوله، وبقرآنه، وباليوم الآخر، وإلاّ كان العذاب أليما.	٢٢-٣٣	٢١٩
٥ ـ تسلية النّبيّ ﷺ، وبيان أنّ التّرف سبب الكفر والكفران وتكذيب خير الأنام وطاعة الشّيطان، فعلى كفّار مكّة تدبّر الأمر قبل فوات الأوان، وإلاّ كان المصير كالسّابقين.	٣٤-٥٤	٢٣١
تعقيب		٢٤٥
ثالثاً: سورة فاطر		٢٥٣
بين يدي التّفسير		٢٦٣
التّفسير		١٧٩-٣٣٦
١ـ الله تعالى المستحقّ أن يعبد وحده هو الخالق المدبّر الرّحيم المحيي المميت السّميع العليم الخبير.	١-١٤	٢٨١
٢ ـ الله تعالى هو الغنيّ الحميد، والرّسول ﷺ بشيرٌ ونذير، وثواب المؤمنين، وعقاب الكافرين.	١٥-٢٦	٢٩٧
٣ ـ اختلاف ألوان المخلوقات من دلائل قدرة الله	٢٧-٣٥	

تعالى، وثواب تلاوة القرآن الكريم والاهتداء بنوره.		٣٠٩
٤ ـ علي الكافرين أن يؤمنوا بالله تعالى وبالرّسول ﷺ وإلاّ كان العذاب شديداً في الأولى والآخرة.	٣٦-٤٥	٣٢١
تعقيب		٣٣٧
رابعاً : سورة يس حتّى نهاية الجزّ الثاني والعشرين		٣٤٩
بين يدي التّفسير		٣٥٣
التّفسير		٣٥٩-٣٧٩
١ـ الرّسول ﷺ ينذر بالقرآن الكريم الكافرين ويبشّر المؤمنين.	١-١٢	٣٦١
٢ ـ عذاب مكذّبي المرسلين وثواب مصدّقيهم.	١٣-٢٧	٣٧١
فهرست الموضوعات.		٣٨١